رسائل الانتقاد

« تابع لما سبق »

هذا امرؤ القيس

أقدم الشعراء عصراً . ومتقدمهم شعراً وذكراً . وقد اتسعت الاقوال في فضله اتساعاً لم يفز غيره بمثله حتى ان العامة تظن بل توقن ان جواد شعره لا يكبو (١) وحسام نطقه لا ينبو (٢) . وهيهات من البشر الكمال . ومن الآدميين الاستواء والاعتدال . يقول في قصيدته المقدمة . ومعلقته المفخمة

ويوم دخلتُ الخدر خدر عُنيزة فقالت لك الويلاتُ إنك مُرجلي

فما كان اغناه عن الاقرار بهذا وما اشنع (٣) غفلته عما ادركه من الوصمة به وذلك ان فيه اعداداً كثيرة للنقض والخس منها دخوله متطفلاً على من كره دخوله عليه . ومنها قول عنيزة له لك الويلات وهي قولة لا تقال الا لخسيس . ولا يقابل بها رئيس . فان احتج محتج بانها كانت أرأس منه قيل له لم يكن ذلك لان الرئيسة لا تركب بعيراً يدرج او (ينوء) (٤) اذا ازداد عليه ركوب راكب بل هو بعير فقير حقير فان احتج له بانه حرص على القول من اجل انها معشوقة قيل له وكيف يكون عاشقاً من يقول لها

فمثلك حبلى قد طرقتُ ومرضعاً فألهيتُها عن ذي تمائم مُحول

والمعروف للعاشق الانفراد بمعشوقته والتراجع سواها كالمتيمين في ليلى وعيلان بمية وجميل بثينة وسواء كثير . ولم يكن عاشقاً بل كان فاسقاً (٥) . ثم المجن مجنة

---

(١) بالاصل : يكبوا (٢) بالاصل : ينبوا (٣) كذا بالاصل ولعله يجب قراءتها اشد
(٤) هذا اقرا كل ارضة افسد اللفظ (٥ قال ابو فرج قدامة بن جعفر في تأليفه
(نقد الشعر) « . . . اني رأيت من يعيب امرأ القيس في قوله فمثلك حبلى (البيت)
ويذكر ان هذا معنى فاحش وليس فحاشة المعنى في نفسه مما يزيل جودة الشعر فيه كما
لا يعيب جودة النجارة في الخشب مثلا كرداءته في ذاته . » وهذا يعارض انتقاد
ابن شرف على البيت المتقدم

[illegible] . هذا الحلّ [illegible]

[illegible] في الدنيا ، والإعراض [illegible]

[illegible]

[illegible] . وأعجب من هذا [illegible]

[illegible]

[illegible] من [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] . وكل من [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

وكذبًا وفجورا . منهم الفرزدق وهو القائل

همًا دلياني من ثمانين قامة كما انقض بازاقتم الريش كاسره

فهذا اول كذبة ولو قال من ثلاثين قامة لكان كاذبًا انما اسرالارشية عن ذلك وقد فرعه جرير هنا في قوله

تدليت تزني من ثمانين قامة وقصرت عن باع العلى والمكارم

وكان مغرمًا بالزنا مدعيًا فيه . وقد لي بوائع تصدقه عنه . منها ما شهر به من النميمة بن ساعده . والادعاء حقًا من بعده . منها دمامته ومنها اشتهاره . والمشهور يصل الى شهوة يتبعها ريبة . فكان يكثر في شعره من ادعاء الزنا . واستدعاء النساء وهن الحظ عليه من كبد بعير . وافحش فيه واهجى له من جرير . وخذ اطرف هؤلاء الاجناس . وهو سحيم عبد بني الحسحاس . اسود في شملة . دامسة قملة . لا يواكله الغرثان . ولا يماشيه الصرد العريان . وهو مع ذلك يقول[1]

واقبلن من اقصى البيوت يعدنني نواهد لا يعرفن خلقًا سوائيا
يعدن مريضًا هن هيجن ما به الا انما بعض العوائد دائيا
توسدني كفًا وتثني بمعصم عليّ وترمي رجلها من ورائيا

فانت تسمع هذا الاسود الشن وادعاءه . وتعلم ان الله لم يخل الارض . لم يبق رجلًا في الطول ولا في العرض . لم يكن هذا الزنمة الزناء عند ادراك السودان الا كبعرة ببعير . في بعر عير . والممنوع من الشيء حريص عليه . مدع فيه . والفقد بما يهواه . كاتم

(١) هو سحيم عبد بني الحسحاس بن هند شاعر مخضرم من الطبقة الاولى توفي في نصف القرن الاول للهجرة وكان اسود وكلامه فصيح الالفاظ قليل وغير مدون . واحسن شعره قصيدته التي اولها :

عميرة ودع ان تجهزت غاديا كفى الشيب والاسلام للمرء ناهيا

وهي التي اقتبس منها ان اشرف الابيات المارة . وقد ورد منها في كتاب الاغاني (طبعة مصر ج ٢٠ ص ٥) القطعة الآتية لا غير :

تجمعن من شتى ثلاثا واربعا وواحدة حتى كملن ثمانيا
واقبلن من اقصى الخيام يعدنني بقية ما ابقين نصلاً يمانيا
يعدن مريضًا هن هيجن داءه الا انما بعض العوائد دائيا

له مستحسن يتوقع مثاله . ودليل الى ذلك ان المرقش الاكبر (١) كان من اجمل الرجال وكانت النساء فيه رغبة . وشدة محبة . وكان كثير الاجتماع بهن . والوصول اليهن وله في ذلك اخبار مروية ولم يكن في اشعاره صفة شيء من ذلك . لحسبك بذلك صحة على ما قلناه . فان قال قائل انما وصفت عن امرئ القيس عيوباً من خلقه لا في شعره قلنا هل اراد بما وصف في شعره الا الفخر . فان قال لم يرد ذلك وانما اراد اظهار عيبه فانما هو حمق الناس اذاً هو . ولم يكن كذلك . وان قال هو الفخر قلنا فقد نطق شعره بقدر ما اراد وترجمت ترجمة (٢) عنه قريضه بقبح الاوصاف فاي خلل من خلال الشعر اشد من الانعكاس والتناقض . وكل ما يجري من الشعر فهو من اشد عيوبه فاذا ومن كلام امرئ القيس المخلخل الاركان . الضعيف الاستمكان . المتزلزل البنيان . قوله

أمرخ خيامهم ام عشر (٣) ام القلب في اثرهم منحدر
وشاقتك بين الخليط الشطر ومن قام من الحي هر (٣)
وهو نصيد بوب الرجال والمك منها ابن عمرو حجر

فانت تسمع هذا الكلام الذي لا يتناسب . ولا يتواصل ولا يتقارب . ولا يحصل منه معنى ولا فائدة سوى ان السامع يدري انه يذكر فرقة من احباب لكن ذلك عن ترجمة معجمة . مضطربة . مقلقة . سأل عن الخيام امرخ (٤) هي ام عشر (٥) وليست الخيام مرخاً

---

(١) المرقش الاكبر واسمه عمرو وقيل عوف بن سعيد بن مالك ينتهي نسبه لبكر بن وائل شاعر جاهلي لقب بذلك لقوله :

الدار قفر والرسوم كما رقش في ظهر الاديم قلم

وهو احد عشاق العرب المشهورين وصاحبته ابنة عمه اسماء . وكان المرقش يحسن الكتابة الحميرية كما ورد في كتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة

(٢) كذا بالاصل — (٣) ورد هذا البيت في بعض نسخ ديوان امرئ القيس بتقديم عجز البيت الى الصدر وفي بعضها تغيير « شاقتك بين الخليط الشطر » بالمصراع الآتي : « ام الظاعنون بها في الشطر » — (٤) المرخ بالفتح شجر سريع الوري يقتدح به والمرخ بالكسر الشجر اللين الرقيق (٥) العشر شجر فيه حراق لم يقتدح الناس في اجود منه ويحشى في المخاد ويخرج من زهره وشعبه سكر وفيه مرارة . قال ابو حنيفة « والعشر من العضاه وهو من كبار الشجر وله صمغ حلو وهو عريض الورق صعداً في السماء . وفي المصابيح » وثمره نفاخة كنفاخة « الشاء الاصفر » القرب الموارد

ولا عشراً وانما هما عودان (١) ... ومن اراد في مكان هذين الحبلين فقد نقص عمدة الكلام لان ترحه وعشره اتى بهما نكرتين فاشكل بذلك . وانما يجوز لو جاءهما معرفة بالالف واللام فالوزن لا يساعده على ذلك . ثم قال

ام القلب في اثرهم منحدر

وليس هذا السؤال من السؤال الاول في شيء الا من مدرجيته واحتيال شديد . وقال بعد هذا

وشاقك بين الخليط والشطر ومن اقام من الحي هر

فاتى بكثير كلام لا يفيد الا قليل معنى . وذلك القليل لا غريب ولا عجيب . وهو كله ذكر فراق . ثم رجع الى ان هر تخيلة تصيد قلبه وقلب غيره فابطل بافامتها كل ما قال من اخبار الفراق وعقده وجعل بكاءه المتقدم لغير شيء . ثم قال

والقلب منها ابن عمرو حجر

لحسن عنده ان يخبر ان الناس قد صادت هر قلوب جميعهم الا قلب حجر ابيه . وهذا من الاحاديث الركيكة والاخبار التي ما باحد حاجة اليها (٢) . ومع هذا فقد اورد اصحاب الاخبار ان هر هذه كانت زوجة ابيه حجر فانظر ما في جملة هذه الابيات من الركاكات . وقلة الافادات . فانها لا تفيد قلامة . ولا تهز قامة . ولسنا ننكر بهذه العيوب دوراتها . ما اقررنا له به من الفضائل وندارتها . وستجد من لا يصدق معاصراً . ولا يصدق بل منقاده متأخراً . حتى تلى صعف اسمه . ويغديه من الجهل والعيب بنفسه . فاذا اعترضك من هذا النمط متعرض فاعرض عنه ودعه على حلاته . مستمتعاً بخلافه . واتبع المنقد الذي اوضحته لك

---

(١) قال ابن رشيق كتاب العمدة باب التتبيع ... ومن العجب العجيب قول امرئ القيس . ابرح حيا يوم البين . يقول ارونا عمدا الذي من اجله البرح اه العود الذي من اجله المشر وان الاعراب يعملون خيامكم من نبات الارض التي ولونها فاذا رحلوا تركوه واستأنفوا غيره من شجر البلد الذي يحلون به ... ولا ارى الاعراب تذكر ذلك كثيراً في اشعارها

(٢) جاء في عمدة ابن رشيق (باب الاستعارة) : فمنها قول امرئ القيس وهر تصيد قلوب (البيت) ... وكان فلة هر واستعارة الصيد معها مضحكة مجنة وان ابا حجراً من فلوات بيته ما لا يعلق الفلاته منها هذا الاسف ... لا على ان امرأ القيس اتى بالمحال على جهته ولكن الكلام وان تحسنه قران تبعد كذلك الابيد في هذين البيتين

قال أبو الريان: وفضلاء الشعراء كثير جداً، ولكل سقطات، وسقطات في بعضها تخالف المروءة في الإجابة [illegible] ليس إلا لاوضح بذكرها [illegible] من مناهج النقد، لا حرجاً في بعض الفصحاء، ولا قدحاً في محاسن الصرحاء، ولا رغبة [illegible] في ذلك وهم [illegible] وإن [illegible] وهم الكل جميعاً.

قال [illegible] في [illegible] وصفه [illegible] من الحكمة والرغبة في هذه الصنعة، من [illegible] الحكمة، ومعالمه العلية:

رأيت المنايا خبط عشواء من تصب   تمته ومن تخطئ يعمر فيهرم

وقد غلط في وصفها خبط العشواء على أنها لا تخطئ [illegible] لأنه لم يكن في شعره [illegible] في [illegible] حكم العقل [illegible] لا يصح قوله لو كان بعض الناس يموت وبعضهم يعمر[1] وقد علم هو وغيره [illegible] أن الأشياء [illegible] لا تخطئ [illegible] من الحيوان حتى [illegible] يوصف بخبط العشواء [illegible] لا [illegible] من الحيوان إلا العشواء حتى [illegible] في جميع [illegible] ولكنه [illegible] موت قوم غبطة وموت قوم [illegible] طول العمر إلا [illegible] المنية [illegible] من [illegible] إلا [illegible] ومن أن الرماة [illegible] كالمنتاشر [illegible] أيضاً بالمعنى [illegible]

وقال زهير أيضاً في هذه:

ومن لا يذد عن حوضه بسلاحه   يهدم ومن لا يظلم الناس يظلم

وقد تجوز [illegible] الحق [illegible] جريان العادة، وشهادة المشاهدة: وذلك أن [illegible] مذمومة عواقبه، سيئ [illegible] وأسلافها، الغرض في شعره [illegible] وإن كان [illegible] في شعره إلى أن الظالم [illegible] ولا يظلم [illegible] قياس [illegible] وأصل ليس بمطرد [illegible] من هو أضعف [illegible] بالخديعة والمكيدة وقد يظلم [illegible] من [illegible] فيكون ذلك سبب هلاكه مع [illegible] والمظلوم إنما يضرب [illegible] لا يظلم وقد كانت له مندوحة واتساع في أن يقول [illegible] ومن لا يظلم الناس يظلم فهذا أصح [illegible] لا يظلم ويظلم.

قال أبو الريان: وقال زهير أيضاً وهو من أعجب شعره [illegible] عند العامة وكثير من الخاصة [illegible] غلط [illegible] ولا [illegible] ذلك [illegible] الحق [illegible] قال

(1) بالأصل يعمرا

تراه اذا ما جئته متهللا كأنك تعطيه الذي انت سائله[1]

مدح بها شريفاً اي شريف يحمل سروره بقاصده كسروره بمن يدفع شيأ من عرض الدنيا اليه وليس من صفات النفوس العارفة السامية ولا هم الشريفة العالية اظهار السرور الى ان تهلل وجوههم وتسر نفوسهم بهبة الواهب ولا شدة الابتهاج بعطية المعطي بل ذلك عندهم سقوط همة وصغر نفس وكثير من ذوي النفوس النفيسة والاخلاق الرئيسة لا يظهر السرور حتى وزن مالاً عفواً الا منة ميل ولا يد معط مستطيل لانه عند نفسه اكبر منه ولان قدر المال يقصر عنه فكيف انه يمدح ملك كبير كثير القدر عظيم الفخر بانه يتهلل وجهه ويمتلئ سروراً قلبه اذا اعطى سائله مالاً هذا نقض الثناء ومحض الهجاء والفضلاء يظهرون بضد هذا قال بعضهم

ولست بمفراح اذا الدهر سرني ولا جزع من صرفه المتقلب

وانما عد زهيراً وغيره استحسن بيته هذا ما جبلوا عليه من حب العطاء وما جرت به عاداتهم من الرغبة في الهبات والاستجداء وليس كل الشيم تستحسن ذلك ولا كل الطباع تسلك هذه المسالك

قال ابو الريان وقال زهير ايضاً يمدح سادة من الناس فذمهم بانواع الذم واكثر الناس على استحسان ما قال بل الغي كلهم على ذلك وهو قوله

على مكثريهم حق من يعتريهم وعند المقلين السماحة والبذل[2]

فاول ما ذمهم به الجبار ان فيهم مكثرين ومقلين ولو كان مكثروهم كرماء لبذلوا لمقليهم الاموال حتى يستووا في الحال ويشتبهوا في الكرم والحال الذين قال فيهم حسان

المحقين فقيرهم بغنيهم والمشفقين على اليتيم المرمل[3]

(١) البيت من قصيدة طويلة مدح بها حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري واولها

صحا القلب عن سلمى واقصر باطله وعري افراس الصبا ورواحله

(٢) البيت من القصيدة التي مدح بها سنان بن ابي حارثة المري ومطلعها

صحا القلب عن سلمى وقد كاد لا يسلو واقفر من سلمى التعانيق فالثقل

(٣) جاء هذا البيت في ديوان حسان بن ثابت (طبعة تونس سنة ١٢٨١ ص ٧٢) على الصورة التالية :

والخالطون فقيرهم بغنيهم والمنعمون على الضعيف المرمل

المرمل المقل المال يقال ارمل الرجل اذا قل زاده وكما قال غيره

الخالطين فقيرهم بغنيهم حتى يعود فقيرهم كالكافي

وكما قالت الخرنق [1]

الخالطين لجينهم بنضارهم وذوي الغنى منهم بذي الفقر

فهذا كله واليك غاية المدح الذي من القدح ثم استمع ما في هذا البيت سوى هذا من الخلل والزلل قال

على مكثريهم حق من يعتريهم وعند المقلين السماحة والبذل

ففي هذا القسم الاول عيوب على المكثرين . منها انهم ضيعوا القريب كما قدمنا ودعوا حق القريب وصلة الرحم اولى ما بدي به ومن مكارم العرب حبسها الحوب السلبا وذبها عن احسابها والاقرب فالاقرب وما فضل عن ذلك فللابعد ثم اخبر ان المكثرين ليس يستحقون باكثر من الاستحقاق في قوله

على مكثريهم حق من يعتريهم

ومن اعطى الحق فانما انصف ولم يتفضل بما وراء الانصاف والزيادة على الانصاف المدح ثم اخبر في البيت ان المقلين على قدر قصور ايديهم اكرم طباعًا من مكثريهم على قدرهم في قوله

وعند المقلين السماحة والبذل

والبذل مع الاقلال مدح عظيم وايثار والسماحة اعطاء غير اللازم فمدح بشعره هذا من لا يعطى منه بطائل . وذم الذين يرجى [2] منهم جزيل النائل ومفارقة المعط في الاختيار وفي ترتيب الاشعار وارعيت غير هذا من السقطات ولا كلفة لاستقصاء هذا على اشتهاره بغية امدح الشعراء واجزل الوافدين على الاشراف والامراء ويتعامى المتعصب له عن وضوح هذا البيان ويستنكر جميع هذا البرهان ويجهل التفتيش عن غوامض الخطأ والصواب استقصاء وطلبًا ومطالبة وعنفًا وزعم ان جميع الشعر لو طلب هذه المطالبة لبطل صحيحه والعيم فصيحه والباطل الذي زعم والمحال الذي به تكلم فالسليم سليم والحكيم كليم والناصع لمكين ان الحق الشعر ما قلت عبارته .

(1) هي الخرنق بنت بدر بن هفان اخت طرفة بن العبد لامه وكانت شاعرة جاهلية جليلة توفيت قبل الاسلام بنحو سبعين سنة (2) في نسخة اخرى من ديوان زهير ورد فقط رزق بدل حق (3) بالاصل يرجوا

وفهمت اشاراته ولحنت لها ولحت فيه ورققت حقائقه وحققت رقائقه واستمي فيه تنطعه اشبه عن الدلائل المطلوبة وامثال هذا الكلام في استدلال النظام فتوهم ان حل الشعر وزلله وضعف اركانه وتناقض ابياته وانقلاب لفظه لغواً وانعكاس مدحه محواً داخل فيما قلمنا من الاوصاف المستحسنة من تباشراته وتحبيراته فحامل هذا الصنف مطلقك خبيث العطف ورافعك عليه الانف واعرض عنه بالمكر والذكر كبراً وان لم تكن من اهل الكبر وفيما طامنك عليه من شعر هذين المحدثين والمتقدمين القدميين ما يغني عن التفتيش إلى سقطات سواهما فقس على ما لم تره ما ترى واعلم ان كل الصيد في جنب الفرا [1] · قال ابو الريحان ومن عيوب الشعر اللحن الذي لا تتسعه سعة العربية كقول الفرزدق

وعض زمان يا ابن مروان لم يدع من المال الا مسحتاً او مجلف

فرفع مجلفا وحقه النصب وقد تحول له بعض النحويين بكلام كالضريع لا يسمن ولا يغني من جوع وكقول جرير الخطفي

ولو ولدت قفيرة جرو كلب لسب بذلك الجرو الكلابا

فنصب الكلاب بغير ناصب وقد تحيل ايضاً بعض النحويين على وجه الاقواء احسن منه فاحذر هذا ومثله واياك وما يعتذر منه بفسيح من العذر فكيف بضيق ضنك · قال ومما يعاب به الشعر ويستهجنه النقد خشونة حروف الكلمة كقول جرير

وتقول بوزع قد دببت على العصا هلا هزئت بغيرنا يا بوزع [2]

وهذا البيت في قصيدة من احلى قصائد جرير وامتعها واجزلها وافصحها · اثقلت القصيدة كلها بهذه اللفظة والفرزدق ايضاً لفظات خشنة الحروف كهذه تجدها في شعره · قال ويكره النقاد تعقيد الكلام في الشعر وتقديم آخره وتأخير اوله كقول الفرزدق

---

(١) هكذا بالاصل والمثل المشهور انما هو «كل الصيد في جوف الفرا» كما ورد في الحديث الشريف وقد نظمه بعضهم في قوله

كل الصيد في جوف الفرا مثل يساق بغير خلاف

(٢) البيت من قصيدة في مدح بعض بني امية قبل ان وصل جرير في انشاده الى هذا البيت قال له الامير الممدوح = افسدتها ببوزع

وما مثله في الناس الا مملكا ابو امه حي ابوه يقاربه (١)

يمدح به ابراهيم بن هشام المخزومي وهو خال هشام بن عبد الملك . ومعنى هذا الكلام ان ابراهيم بن هشام ما مثله في الناس حي يقاربه الا مملكا يعني هشاما ابو امه اي جد هشام لامه ابو ابراهيم هذا الممدوح لان خاله اخو امه ابو ابراهيم فليس شبيه في الناس الا عنيه وهذا غاية التعقيد والتكرير وليس تحته [illegible] الا [illegible] التي

ترجمة قانون الجمعيات

شرح [illegible]

لا يخفى على الناظر المتبصر [illegible] لكل [illegible] من الخليقة الى اليوم [illegible] وذلك خرج من [illegible] الاتحاد والاجتماع [illegible] الامم التي [illegible] من [illegible] ان اجتماعهم [illegible] لا يخلو من امرين اما [illegible] . ولو [illegible] الى الحادثات [illegible] كل [illegible] وتحول [illegible] الزمان والمكان . [illegible] وهكذا كل الموجودات . وان كانت [illegible]

لكل هذه الاسباب [illegible] جميع الحكومات (٢) [illegible] الاجتماع والاتحاد قوانين

(١) [illegible] وقال صاحب كتاب [illegible] البيت في مدح هشام بن [illegible]

(٢) [illegible] حكومة [illegible] دولة [illegible] (١) [illegible] (٢) مجلس [illegible] (٣) مجلس [illegible] . واما [illegible] حكومة [illegible] لا [illegible] الا مجلس [illegible] وهذا المجلس [illegible] من اثني عشر رجلا وهم [illegible] الاعظم [illegible] (١) [illegible] (٢) [illegible] الاوقاف (٣) [illegible] (٤) [illegible] (٥) [illegible] (٦) [illegible] (٧) [illegible] (٨) [illegible] (٩) [illegible] (١٠) [illegible] (١١) [illegible] (١٢) [illegible] وهذا [illegible] اصول الادارة [illegible] ثم [illegible] الدولة [illegible]